

معركة الدفاع المشروع عن الذات

● في هذه المناسبة الخالدة - مناسبة تأسيس الاتحاد الوطني لطلبة العراق وقبلها مناسبة الانتصارات التي حققها جيشنا وشعبنا في العراق والامة العربية -، اسمحوا لنا ان نرجع الى مقولاتكم في كتاب «في سبيل البعث» حول الرسالة العربية الخالدة، حينما تحدثتم عن الامة العربية، هي نفس تلك الامة التي كانت قبل الف وألفين عام، وان ما يتحقق من انتصارات اليوم، انما يعد امتداداً لانتصارات الامة العربية السابقة، بما يؤكد مجاء في مقولاتكم حول الرسالة العربية الخالدة، نرجو من استاذنا الكبير القائد المؤسس ان يتحدث الينا عن تصوراته لما أفرزته هذه المعركة القومية الظافرة وما سوف تفرزه على صعيد النضال القومي.

نحن نعيش أياماً خالدة سيكون لها الاثر العميق والحاسم على مستقبل الامة العربية، لانرى فيها تحقيقاً لمقولة واحدة وانما لكل أفكار الحزب وللتصور الانساني لحزب البعث، مما يدل على ان حزبنا في هذا القطر كان دوماً عميق الصلة بفكر الحزب، عميق الصلة بأمته وسجاياها وأخلاقها وبطولاتها. ومهما أشدت بقطرنا العراقي العظيم وبشعبنا العظيم في هذا القطر، فاني لا اوفيه حقه، هذا الشعب الذي أفرز الصورة الاصلية المشرقة لحزب البعث، حزب المناضلين الشجعان الاخلاقيين، هذا الشعب الذي أنجب القائد التاريخي الرفيق صدام حسين، هو نفس ذلك الشعب الذي حمل مشعل الرسالة في الماضي وأقبل على الشهادة بفرح

(1) حديث شامل لمجلة صوت الطلبة بمناسبة الذكرى التاسعة عشرة لتأسيس الاتحاد الوطني لطلبة العراق، والانتصارات التي حققها العراق على الجبهة الشرقية.

وغبطة وشعور بأنه يصنع التاريخ لامته وللإنسانية، هذا الشعب يتمتع الآن بالروحانية نفسها وبالطاقة نفسها، بالقدرات التي لم تنعدم وإنما كانت كامنة وغافية، وكان عمل الحزب هو تذكير الشعب بهذه الأصالة وبهذه القدرات الخارقة الكامنة، كما كان عمله الأساسي توفير المناخ الملائم لفتح هذه القدرات وازدهارها، وذلك ببناء الشروط الموضوعية والشروط الذاتية للمجتمع العربي الجديد، الشروط الاقتصادية والاجتماعية والنهوض بمستوى الجماهير الواسعة التي يكمن فيها الخير، وتكمن فيها الطاقات الهائلة والنوازع الخيرة للبناء والتضحية.

والشروط الذاتية وهي دوما الأهم أي بناء العقل والفكر والنفسية الراجعة والطموح، والعقيدة بأن الحياة إنما هي رسالة، ليست للعيش الاستهلاكي، وإنما هي للعطاء والبناء الخالد وللبطولة وللتعبير المتجدد عن الإيمان بالقيم السماوية والقيم الإنسانية الرفيعة الخالدة.

من أهم مقولات حزب البعث . . . الثقة بالإنسان والثقة بالشعب، وأهم ميزة للقائد التاريخي وللقيادة التاريخية هي الإيمان بالإنسان العربي والإيمان بشعبنا العربي، فعندما يتحقق هذا الإيمان بصدق وعمق، يخلق المعجزات ويتم التفاعل والتكامل والاندماج بين القائد وبين الشعب فيصبح القائد هو الشعب ويرى الشعب ذاته ومستقبله متجسدا في عمل القائد. في الكتابات القديمة، هذا القول: إذا وثق فرد واحد بنفسه وثقت الأمة كلها بنفسها، فالثقة بالأمة هي ثقة بالنفس، مادامنا أبناء هذه الأمة المجيدة، وعندما نثق بامتنا وبأصالتها وبخلود روحها وبإمكان تجدد قدراتها وسجاياها وبطولتها فإن هذا يمدنا بثقة لا حدود لها بانفسنا وبعدالة نضالنا وبحتمية انتصارنا، الثقة والإيمان بالشعب هو صورة عن الإيمان بالله، وقديما قيل بان صوت الشعب من صوت الله وروح الشعب من روح الله. كان لا بد أن يبدأ الانبعاث من قطر من أقطار العروبة، من أرض تحررت قبل غيرها لتصبح القاعدة والمنطلق، أن تصبح قاعدة للاعداد والتهيئة الجدية الطويلة النفس، وعندما يكون نهوض الأمة سهلا ويتم بسرعة أكثر مما هو متوقع، لأن بذور الخير موجودة في كل عربي ولأن الاستعداد للنهضة والانبعاث هو استعداد قوي عميق، برهنت عليه امتنا

في هذا العصر بأقوى البراهين وأسطعها في ثورات عديدة، وبدايات نهضة شاملة وبروح البطولة والتضحية التي لم تنضب من الأرض العربية، ولكن لا بد للانبعث الجديد لكي يكون في مستوى الرسالة العربية، وفي مستوى الماضي المجيد العريق، وفي مستوى هذا العصر الذي نعيش فيه، ولكي تسترد الأمة العربية مكانتها ودورها بين الأمم وتبلغ رسالتها من جديد، لا بد لهذا الانبعث أن يتجاوز مرحلة العفوية وإن تتهيا له شروط عديدة، وإن يكون مستندا إلى فكر قومي إنساني وشمولي، وهذا ما نعتقد أنه تحقق لحزبنا - وتحقق بصورة ممتازة لحزبنا في العراق - .

كان لا بد لهذا الأعداد البطيء الذي يعطي اليوم ثماره الناضجة، أن يقابل من قبل بعض الأنظمة والطبقات المستغلة، المتسلطة في بعض الأقطار العربية بالخوف والذعر وبالعداء كموقف دفاعي عن وجودهم وعن مصالحهم غير المشروعة، فهذا شأن كل الرسالات وشأن كل النهضات الأصلية، لا بد أن تعدم مواطن المرض والفساد في الجسم القومي لكي تقضي عليها بأن تشيع حالة صحية في مجموع الجسم القومي، حالة نهوض واثقة بالنفس وتوق وحنين إلى الأمجاد، إلى التراث، وإلى التحرر والحياة الحرة النظيفة، فعندما نرى هذا التجاوب مع معركتنا لدى الشعب العربي في كل أقطاره، لانكس لحظة في أن الروح التي عبر عنها شعبنا في العراق ستنتشر وستجرف بقايا المرض والفساد.

هذه الحرب في واقع الأمر، هي حرب دفاعية اضطررنا إليها دفاعاً عن هذا القطر الأساسي في الوطن العربي وفي جسد الأمة العربية، هذا القطر الذي هيأه تاريخ الؤف السنين ليكون مؤتمناً على التراث القومي الروحي والحضاري ومجددا لهذه التراث. فعندما يهدد في وحدته ليس في الأرض فحسب، وإنما في وحدة الشعب وتماسكه فإن دفاعه عن نفسه مشروع وواجب لأنه ليس قطراً فحسب، بل هو مسؤول عن الأمة العربية أكثر من أي قطر آخر، ودفاعه مشروع عندما نتذكر الجهد الذي صرف في هذا القطر بشكل استثنائي منذ ثورة ١٧ تموز ولحد الآن، فهي التجربة الثورية العربية الوحيدة التي كتب لها النجاح والازدهار، فلوفرطنا بها لكانت الخسارة عميمة على الأمة العربية كلها وعلى مستقبلها. وهذه الحرب الدفاعية

مشروعة لانها ايضا، انما تستبق الاخطار المبيتة والمحدقة بمستقبل الامة العربية، هذه الاخطار التي تهدد ببيان الامة بالتفتت والتفسخ فتكون هذه الحرب الدفاعية انقادا لشخصية الامة ولقوميتها ولاساس تماسكها ووحدتها، فهي بالفعل جهاد بالنيابة عن الامة العربية كلها وعن اجيالها المقبلة، ولنقل بصورة اوضح ان الاستعمار والامبريالية والصهيونية وكل القوى الشريرة في العالم جعلت ومنذ بداية القرن على الاقل هدف عدائها وتآمرها الامة العربية بالدرجة الاولى، للموقع الممتاز الذي توجد فيه اراضيها ولما في هذه الاراضي من ثروات ولتاريخ هذه الامة الحضاري والروحي الذي يهدد القوى الاستعمارية بزوال سيطرتها واستغلالها، فيما لوبعث من جديد، لذلك فإن الاستعمار والصهيونية وكل القوى الشريرة ذات المصالح الاستغلالية الأثمة مستعدة أن تهادن وتساوم أي شعب وأي بلد اذا كان لها مطامع فيه بغية ان تركز عدائها على الامة العربية. ان بلدان العالم الثالث كلها كانت ضحية الاستعمار والتوسع والاستغلال وما زالت مهددة دوما بعودة الاستعمار في أشكال جديدة ولكنها لا تشكل العدو الاول للاستعمار والصهيونية والقوى الاستغلالية كما هي الامة العربية.

فالامة العربية في هذا العصر تخوض معركة الدفاع المشروع عن الذات، عن البقاء، عن إرادة الحياة وعن إرادة النهوض وليس طبعيا أو منطقيًا ان تصطدم أي حركة تحرر في العالم الثالث مع الثورة العربية لان هذا الاصطدام والتناقض عندئذ يكون مشبوها ويكون بكل يقين، في حصيلته، لمصلحة القوى الاستعمارية والصهيونية، وأخيرا فلهذه الحرب مشروعية تتميز على كل ما سبق ذكره هي انها كانت مناسبة لتفجر قوة عربية من نوع جديد ومن نوع أصيل وتاريخي وهذه القوة ليست قوة مادية فحسب، وليست قوة مادية بالدرجة الاولى، بل انها قوة روحية وفكرية، قوة ايمان وعقل منفتح، سيطرت على المادة سنين طويلة وبتنها وطوعتها وبنيت هذا البناء المتكامل الذي أتاح لهذه البطولات الخالدة ان تتجلى في هذه الحرب، كما أتاح لهذا الشعب العظيم في القطر العراقي ان يفاجيء نفسه بالعباء والتضحيات، وبسمو في الروح واستعداد للنهوض والتقدم بشكل رائع، كان لا بد ان

يحصل لكي تسترد الامة العربية ثقتها بنفسها، ولكي تتصل من جديد بمعنى وجودها ولكي تتغلب على حالة اليأس والتردي المتفشية في اوضاعها الراهنة. لو لم يكن لهذه الحرب غير هذا المبرر، ولو لم تفرز الا هذا الجانب لكانت حربا مشروعة ورائدة وخالدة.

● ناضل الطلبة البعثيون في العراق كما تعلمون منذ فترة انطلاق البعث في قطرنا وأطرت نضالهم اسماء عديدة منها الطليعة الطلابية التقدمية لسنوات عديدة منذ الخمسينات وحتى حكم عبدالكريم قاسم، واستطاع في ٢٣ تشرين الثاني عام ١٩٦١ من دعوة القاعدة الطلابية يمثلها الاتحاد الوطني لطلبة العراق، ولقد كتتم استاذنا الكبير القائد المؤسس مع طلبة العراق والامة العربية في نضالهم واليوم اذ تصادف الذكرى ١٩ لتلك الانطلاقة يشرفنا ان نستمع اليكم أيها القائد المؤسس وأنتم تستعيدون ذكرياتكم عن دور طلبتنا في القطر، خاصة وقد كتتم مهتمين بنضالاتهم في تلك الفترة الهامة.

كنت فخورا ومعتزا بحركة الطلاب البعثيين في العراق وبنضال الاتحاد الوطني، ولا أنسى كل ما قام به الاتحاد في فترات عصيبة وحاسمة من تاريخ هذا القطر الوطني والقومي، واذكر بالتقدير للاتحاد الوطني التضحيات التي قام بها، والتي وصلت حد الاستشهاد، ولها في نفسي اعمق الذكرى وليس بعد الشهادة برهان على صدق الايمان وصدق العقيدة وتجرد اصحابها عن الاغراض الزائلة وانصهارهم في مبادئهم وفي اهداف الامة وطموحها، والشباب كان في حزبنا هو المؤهل منذ البداية لان يستوعب معنى المسؤولية التاريخية التي حملها نداء البعث الى الاجيال العربية والامة العربية وكان هو العنصر المجدد للروح الثورية، ولاحلاقية الحزب في مجموع الحزب، ليس في عهود النضال السري والسلبي فحسب، وانما في عهد استلام السلطة من قبل الحزب كان للشباب البعثي دور اساسي في ابقاء شعلة القيم الثورية والنضالية وهاجة، وابعاد الحزب عن امراض الاسترخاء والترهل والنفعية التي فتكت بثورات اخرى، وبقيت ثورة الحزب في هذا القطر سالمة منها، هذا المناخ الصحي الاخلاقي الذي يحيا فيه شبابنا وطلابنا البعثيون والذي اهلهم دوما لان

يكونوا مستنفرين دوما للنضال ويؤهلهم في هذا الظرف بالذات ان يكونوا في طليعة
الحاملين لاعباء المسؤولية . . مسؤولية الحرب . . ان هذه الروح لم تبق محصورة في
نطاق الحزب بل ان ان الشباب البعثي اشاعها في حياة الشعب كله وادخلها الى كل
بيت في هذا القطر حتى فوجئنا بهذه الظاهرة الرائعة وهي تسابق المواطنين الى الفداء
من كل الفئات، رجالا ونساء، فتيانا وشيوخا بشكل يعزز ثقتنا بامتنا وهذا بلا شك
بتأثير القيادة التاريخية الفذة التي برزت في هذا القطر والتي كشفت لكل فرد من افراد
الشعب عن اعمق واسمى ما تنطوي عليه نفسه من نوازع خيرة، فحدث هذا التفجر
وهذا التسابق .

اني ابعث بتحياتي لشبابنا في الاتحاد الوطني قيادة وقواعد مع تقديري وتفأؤلي
الكبير بمستقبل قطرنا وامتنا والسلام .

كانون الاول ١٩٨٠